إلى المعترضين علينا

للأب أنستاس مارى الكرملى

اعترض علينا فى (الرسالة) ١٠ : ٨٦٩ حضرة الأستاذ اللغوى سعيد الأفغانى وغيره على أن جمع أفعل ومؤنثه فعلاء ، غير مستند إلى نص صريح ! (كذا) كأن قول سيبويه غير موثوق به ! وذلك ، « لأن نص سيبويه قاصر[1] (كذا) ، على أن جمع التكسير لأفعل فعلاً هو فعل العين[2] (كذا) . وما أظن أن كيفية تكسير هذه الصيغة كانت محل خلاف ؛ وليس فيها شاهد على خطأ قولهم : صخور ملساء

« وإنما كان الأب بحاجة إلى نص صريح يستثنى فيه هذه الصيغة من القاعدة العامة ، وهي : أن نص جمع التكسير يكون بالمفرد المؤنث وبالجمع على السواء ؛ فلك أن تقول : أشهر محرمة ، وأشهر محرمات ؛ وأياماً معدودة ، وأياماً معدودات ؛ كما فى القرآن الكريم وغيره . فما الذى يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النص بحكم خاص ؟ هذا ما يحوج الأب الإبراه[3] عليه . أما استقراؤه الشخصى ، وطلبه من مخالفة الإتيان بشاهد ، فلا يردان حجة ، لأن المقيس لا يلزم له شاهد انتهى ...

قلنا : إننا لا نحتاج إلى نص صريح تستثنى فيه هذه الصيغة لأن قاعدة جمع أفعل فعلاً ، قاعدة قائمة بنفسها ، وليس لها صلة بالقاعدة العامة ، إذ هى قاعدة خاصة بهذا الوزن ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الصحيحة الرواية ؛ والمسموع من كلام فصحاء العرب وبلغائهم هى أحسن شاهد ، بل أحسن قاعدة لما نريد أن نثبته ، ولا يهمنا بعد ذلك ضوابط النحاة ، وقواعد الصرفيين ، وآراء اللغويين ، وتحكمات المتأولين ، وأرباب الأحكام العربية ، لأنهم لم يستقروا جميع قواعد اللغة المضرية . وبيدنا شواهد لا تحصى تدل على نقصان ضوابطهم وتتبعاتهم واستقراءاتهم ، وربما ذكرنا شيئاً منها فى فرصة مناسبة[1]

ولهذا لا نعتمد فى أغلب الأحايين على قواعد النحاة ولا على ما يقوله اللغويون ، إلا إذا اتفق كلامهم وما ورد فى الآى القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، وما سمع من كلام فصحاء الأقدمين الصادق النسب إليهم ، فإن لم يتفق ، لا نحفل بكلام الخليل ، ولا بأقوال سيبويه ، ولا بآراء تغطويه ، ولا بنص عغطويه . فلقد رأينا فى الآيات البديعة نعوتاً مختلفة واردة مفردة مؤنثة لموصوفات أو منعوتات مجموعة ، كما قال حضرة أستاذنا الكريم النابه الأفغانى ، ونحن تبعناها فى جميع ما نكتب ، وكتبنا ... فقد جاء مثلاً فى سورة الحج : « والقاسية قلوبهم » ؛ وفى سورة الإنسان : « ودانية ظلالها » ؛ وفى سورة الهمزة : « فى عمد ممددة » ؛ وفى سورة التوبة : « والمؤلفة قلوبهم » ...

لكننا لم نر مرة واحدة صفة مفردة مؤنثة لموصوف مجموع جمع مكسر كقول أحدهم : كرياَّت حمراء ؛ مع أننا وجدنا أمثلة مختلفة وكثيرة لقولهم : أياماً معدودات ، وأياماً معدودة ؛ وأشهر محرمات ، وأشهر محرمة ، ولم يستعمل الوجهان ، مرة هذا ، ومرة هذا ، لا لجواز النطق بهما ؛ فلما ذا لم يأت أمثالها فى الآى الفصيح ، بل جاءت كلها على فُعل ؟ ذلكم — يا سادتى — لأن القول بفعلاء فى مثل هذا الموطن لا يجوز ألبتة ، ولأنه

---

(١) لم نجد فى ما بأيدينا من كتب اللغة وكلام الأقدمين الفصحاء ورود « قاصر » بمعنى « مقصور » ؛ لأن ورود « فاعل » بمعنى « مفعول » سماعى لا قياسى . ولعله من غلط الطبع لا من غلط الكاتب وهو بليغ فصيح فى ما توشيه أنامله اللبقة

(٢) لعله أراد أن يقول بضم الفاء أو بضم الأول فزل به القلم !

(٣) لعله أراد : أحوج الأب إلى الابراه إليه . فحذف ووصل وهو هنا غير مضطر إلى هذا العمل . ثم إن « أبره » ذكره اللغويون لكن بمعنى الواحد غير معنى الآخر . وقد قالوا : « برهن » مولد بخلاف أبره ؛ لكن الأزهرى وهو اللغوى الفذ استعمل « برهن » المولد فى كلامه ولم يستعمل أبره والسبب واضح ، لأن هذا غير ذاك . قال فى الكليات : « البرهان للحجة والدلالة وبرهن عليه : أقام البرهان — وهو المطلوب هنا — وأبره : أتى بالبرهان والعجائب وغلب الناس » انتهى

(١) فقد قالوا مثلا : إن فعالا « كغراب » لم يأت جمعاً إلا فى اثنى عشر حرفاً . وأما نحن فقد جمعنا منها واحداً وأربعين . وقالوا : إن فعولا « كفلوس » جمع فعل المتحرك نادر غير قياسى . وقد جمعنا منها عشرة إلى الآن . وقالوا : لم يرد فعلل كدرهم إلا أربعة أحرف . وقد جمعنا نحن منها إلى الآن أربعة عشر حرفاً إلى غير ذلك من الأقوال غير الصحيحة ، الفاضحة لتأكيداتهم الكثيرة الأوهام ، فلذا لا يمكن أن يعول على آرائهم إلا بعد تمحيصها كل التمحيص وبعد الاجتهاد فيها وإنعام النظر فى تحقيقها .

غلط شنيع فظيع ، تلعنه الإنس والجن ، وملائكة السماء ، وأهل النار جميعاً ! !

وكيف يجوز لك أن تقول : رجال سوداء ، ونساء حمراء ، ونهارات غراء ، وليال سوداء ... ؟ إني أعد ذلك كفراً وبسلاً ولعنة وتحقيراً للغة الضاد ! !

في المائة والأربع عشرة سورة ، سبعة وسبعون ألف كلمة ، وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة ، وليس فيها شاهد واحد على ما يدعي هؤلاء المساكين ! وفي تلك السور من لغات القبائل خمسون لغة ، وقد استخرجناها من تفسير الطبري الكبير ، الواقع في عشرين مجلداً ، ومن كتاب الإتقان السيوطي ، ودونك أسماء تلك القبائل مرتبة على حروف المعجم :

١ — أزد شنوءة ٢ — أشعر ٣ — أعار ٤ — أوس ٥ — بَلِيّ ٦ — بنو حنيفة ٧ — بنو[1] العنبر (لا بنو النَّمِر ، كما وهم أحدهم) ٨ — بنو جُذَامَة ٩ — تغلب ١٠ — تميم ١١ — ثقيف ١٢ — جُذام ١٣ — جُرْهُم ١٤ — حضرموت ١٥ — حمير ١٦ — خثعم ١٧ — خزاعة ١٨ — الخزرج ١٩ — سبأ ٢٠ — سدوس ٢١ — سعد العشيرة ٢٢ — السكاسك ٢٣ — طَيِّئ ٢٤ — عامر بن صعصعة ٢٥ — عذرة ٢٦ — العالقة ٢٧ — عُمان (وزان غراب) ٢٨ — عنز ٢٩ — عنس ٣٠ — غامد ٣١ — الغثاة ٣٢ — غسان ٣٣ — غطفان ٣٤ — الغوث ٣٥ — غيلان ٣٦ — فرسان ٣٧ — قريش ٣٨ — قيس ٣٩ — كنانة ٤٠ — كندة ٤١ — لخم ٤٢ — مدين ٤٣ — مَذْحِج[1] (وزان مجلس) ٤٤ — مُزَيْنَة ٤٥ — النمر ٤٦ — نمير ٤٧ — هُذَيْل ٤٨ — هَوَازِن ٤٩ — اليمامة ٥٠ — اليمن

على أن الحقيقة هي : أن لغات قبائل العرب تنيف على المائة ، لكني لم أبوبها إلى الآن . ثم قد يكون في القبيلة الواحدة لغتان ما عدا اللغة الفصحى ، وإذا طالعت في تاج العروس ما جاء على الأنفحة في مادة (ن ف ح) تصدق ما نقوله لك .

هذا ما عدا ما ورد في القرآن من الكلم اليونانية والرومية والفارسية والأرمية (السريانية) ، والحبشية والبربرية ، والعبرية والقبطية . وقد طالعنا (القرآن) مراراً لا تحصى ولم نجد فيه كلمة واحدة تؤيد مدعاهم . وطالعنا (النهاية) لابن الأثير ، وهي في أربعة مجلدات ، وتحوي أصدق الأحاديث النبوية الصحيحة ولم نجد شاهداً واحداً على ما يفتئتون . وكذلك لم نجد حرفاً واحداً في شعر الأقدمين ، ولا في كلام فصحائهم المفوهين ، ولا في (القاموس) وهو في أربعة مجلدات ، ولا في (لسان العرب) وهو في عشرين مجلداً ، ولا في (تاج العروس) وهو في عشرة مجلدات ضخام كبار ، ولا في (الفائق) للزمخشري وهو في مجلدين كبيرين إلى غيرها (كصحاح) الجوهري و (الكليات) لأبي البقاء و (ديوان الأدب) للفارابي ، وقد خططنا بالحمرة تحت كل كلمة ، علامة على أنا طالعنا تلك المصنفات حرفاً حرفاً وبكل تدبر وتروٍ ، وذلك للمرة الثالثة أو الرابعة على كل تقدير ، ومن يشك يراجعنا في هذا الأمر .

فإذا كان النحاة والصرفيون لم ينتبهوا إلى هذه الحقيقة الناصعة البيان ، أفهذا ذنبنا يا سادتي الكرام ؟

ثم إن أكبر نحاتهم غلط أغلاطاً كثيرة ، كبيرة ، قميرة تكاد تكون جريرة ، أريد بهذا الإمام سيبويه . فقد ألف (الكتاب) فنقده أبو بكر الزبيدي في (كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مهذباً) وعني بطبعه المستشرق الإيطالي إغناطيوس جويدي ، وطبعه في رومة سنة ١٨٩٠ م

وقد وجدنا نحن أغلاطاً كثيرة للخليل بن أحمد الفراهيدي

(١) ضبطت (مذحج) كمجلس في جميع كتب التاريخ والانساب واللغة ، أي بفتح الميم وإسكان الذال المعجمة وكسر الحاء وفي الآخر جيم . لكنا وجدنا في مجلة المجمع العلمي العربي التي تنشر في دمشق في سنتها ١٧ : ٣٨٦ مضبوطة بضم الأول فشككنا في صحة ضبطها ولما رجعنا إلى تاج العروس ، ألفيناه يقول في (ذ ح ج) : « ومذحج كمجلس ، وهو الذي جزم به أئمة اللغة الأنساب ، وشدد ابن خلكان في الوفيات ، فضبطه بضم الميم » انتهى . وقد راجعنا هذا الكتاب النفيس في نسخ عدة ، فلم نجد الزبيدي صادقاً في كلامه على ابن خلكان ، فالنسخة البولاقية تذكره بالفتح ، وكذلك نسخة باريس ونسخة إيران . وعندنا من نسخ هذا الكتاب الخطية ثلاث : الواحدة منهن مسودة المؤلف نفسه ، وهي مضبوطة هناك بالفتح ، ونسخة قديمة حسنة الخط ، وهي بالفتح أيضاً ونسخة قديمة ثانية وهي أيضاً مضبوطة بالفتح . فما معنى هذا الافتئات على المؤلف رحمه الله ؟ فهذا ما لم نفهمه ! فضم الميم خطأ ولم يذكره أحد . وأما الصحيح فهو بفتحها لا غير .

(١) من يقل (بنى النمر) في (بنى العنبر) فانه يسود وجه التاريخ ويقلبه رأساً على عقب .

أستاذ سيبويه ، وليس الآن محل ذكرها هنا . ومثل ذلك قل على عدد جمّ من القدامى . أما لغة القرآن والأحاديث الصحيحة والمسموع من كلام بلغاء العرب كالوارد فى البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان ، وكلاهما للجاحظ ، وكالوارد فى الكامل للمبرد ، وكالمذكور فى الأغانى ، وما كان من هذا القبيل فهو كالإبريز النقى الذى لا عيب فيه

فكيف نصدق بعد هذا أقوال هؤلاء الأئمة ومن اتبعهم من غير أن نحقق أقوالهم ونبحث عما فيها من الوهن والفهاهة ؟ فهل أوتوا التنزيل من السماء حتى لا يجسر أحد على تخطئتهم ، أو التعقيب عليهم ، أو الاستدراك عليهم ؟ وهل أوصد باب الاجتهاد فى لغة الضاد ، كما أوصد بعضهم باب الاجتهاد فى الدين ؟ — إن الله مع الصابرين !

شروط جمع أفعل فعلاء على فعل

لهذا الجمع القائم بنفسه ستة شروط وهى :

(الأول) أن يدل على (لون) ويكون (نعتاً) صرفاً لا منقولاً إلى الاسمية أو الموصوفية ، ولهذا تجمع أسود على أساود للحية الكبيرة فيها سواد ، وأجدل على أجادل للصقر ، وأدهم على أداهم للقيد ، إلى نظائرها . ومن النعوت الدالة على لون أو شية وهى على فُعْل ما جاء فى سورة المرسلات : « كأنه جمالة صُفْر » . وفى سورة طه : « ويوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » . وفى سورة فاطر : « ومن الجبال جدد بيضٌ وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود » . وفى سورة الكهف : « ويلبسون ثياباً خضراً من سندس » . وفى سورة الإنسان : « عالهم ثياب سُنْدس خُضْرٌ » . إلى غيرها وهى كثيرة . ومما سمع عن فصحاء العرب قولهم : حُدُلٌ ككتب جمعاً لأحدل وحدلاء . قالوا : هذا شاذ لأن أفعل وفعلاء من الألوان والعيوب والشيات يجمعان على فُعْل بالضم والسكون . إنما تقبل بعضهم طائفة من الألفاظ من هذا القبيل على لغة لبعض قبائلهم ، فإنهم يثقلون ما هو مخفف من باب الشاذ ، ولا تقس عليه إذ لا يحق لك أن تفعله

(الثانى) أن يدل على (عيب) إلّم يدل على (لون) كما فى سورة البقرة « صم بكم عمى فهم لا يرجعون »

(الثالث) أن يدل على (حلية أو زينة) إلّم يدل على عيب أو لون . كقولك : رجل أهيف ، وامرأة هيفاء ، ونساء هيف ورجال هيف ، ورجل أحور ، وامرأة حوراء ، وقوم حُوْر ، ونساء حور . ومنه فى سورة الرحمان : « حور مقصورات فى الخيام » . وفى سورة الطور : « وزوجناهم بحور عين »

(الرابع) أن يكون للنعت المذكر نعت مؤنث يقابله ومن لفظه ، وبالعكس ، فإن لم يكن كذلك ، لم يجُز تكسيره على فُعْل ، بل على وزن آخر سمع عنهم . تقول فى جمع حسناء : حسان لأنه ليس لها مذكر من لفظها على وزن أفعل . ومنه فى سورة الرحمن : « فيهن خيرات حسان » . وفيها أيضاً : « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان »

وتقول فى جمع الصقلاء ، وهى المنهضمة الخصر الصقال للسبب المذكور . وقالوا : أعوام عُوَّم ، كسكر ، ومفردها عام أعوم ولم يقولوا سنة عوماء . قال القحاج :

من حرّ أعوام السنين العوَّم

(الخامس) إذا أشير إلى الجمع المكسر بضمير مفرد مؤنث لكونه لغير العاقل ، أو جاور (فعلاء) وصف مفرد مؤنث يصح أن يكون للمفرد وللجمع على السواء ، فأنت مخير فى أن تنعته بفعل أو بفعلاء ، وإذا كان اللفظ فى الشعر والوزن يقتضى (فعلاء) فلا تخف من أن تزن اللفظ هذا الوزن . وكذلك يقال على الجمع المكسر لغير العاقل ، فيصاغ نعته على (فعلاء) إذا كانت هيئة ذلك الاسم المجموع بهيئة نعت مفرد مؤنث تقول : قنا خطية ملد ، وقنا خطية ملداء ، لأنك نصف تلك القنا بأنها (خطية) وبأن هذه (الخطية) ملد ، أو ملداء .

وما عدا ذلك لا يجوز لك أن تنعت الاسم المكسر بنعت مفرد مؤنث ، ولا سيما إذا كان الاسم المنعوت مجموعاً جمعاً مؤنثاً سالماً ، فلا تقول قط كريات بيضاء .

« يتبع »

الأب أنستاس ماري الكرملي
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية
بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٧٠٧ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد سالم على المغربى س ٢٥ بقال عزبة عبد الله عمر تبع قافلة مركز أبى حمص بالغرامة ٥٠ جنيه والمصادرة والغلق والتعليق على باب محله والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً وشايا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة